المنهـــج الفينومينولوجي عنـــد هـــوســـــرل

أ. عليّ ســالم أبوخريص ـ قســم الفلسفة ـ كلية الآداب الأصابعة ـ جامعة غريان

الملخّـــص :

نتيـــجة للأزمـــة الفكرية التي شهدتها الفلسفة في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت حركات فكرية وفلســفية مضادة لما كان سائداً من فكر في نهاية هذا القرن، وهكذا لم يعد في إمكان الفلسفة الحديثة القدرة على مواصلة المسيرة فأصيبت بالعقم واضطرت لترك الميدان لفلسفة جديدة هي الفلسفة المعاصرة التي تبلورت في القرن العشرين ومن أهم هذه التيارات الفلسفة المعاصرة تيار الفلسفة الفينومينولوجية الذي تصدّى للأزمة التي أصابت الفلسفة، وأحدث تغييرًا جذريا فيها بواسطة المنهج الفينومينولوجي الذي أسسه (أدموند هـوسرل

الكلمات المفتاحيـــة : الفلسفة المعاصرة ، الظاهرتية ، المنهج الفينومينولوجي ، الماهية، المعطيات .

المقدمـــــــة:

شـــهد نهاية القرن التاسع عشر وبداية القـرن العشرين وقــوع أزمة عميقة في الفلسفة تمثلت أعراض هذه الأزمة في قيام حركات فلسفية جاءت مضادة للفلسفة السائدة في القرن التاسع عشر ، ويلاحــظ أن هذا التحــوّل لم يقتصر على الميدان الفلســـفي وحده ؛ بل تعدّاه إلى غيره من المجالات الفكرية، ومن أهم أسباب هذه الأزمة أن أوربا في تلك الفترة كانت مسرحًا لتحوّل جذري في الفكر الاجتماعي، كما أنها كانت فريسة لأزمات اقتصادية مستفحلة وميدانًا لحركات تجديدية وإبداعية شملت ميداني الفن والأدب، وبحلول القرن العشرين لم يعد للفلسفة الحديثة القدرة على مواصلة المسيرة فأصيبت بالعقم تاركة الميدان لفلسفة جديدة أصبح يُطلق عليها منذ ذلك الوقت الفلسفة المعاصرة ، وهكذا ولدت اتجاهات فلســفية جديدة تناولت جميع ميادين الحياة الفكرية، وفي هذا الاتجاه بــرز منهجان فكريان أخذا ينموان منذ ذلك الوقت هما : المنهج الرياضي المنطقي ، والمنهج الفينومينولوجي.

ولقد تصدى الفلاســفة الفينومينولوجيون لهذه الأزمــة التي أصابت الفلسفة ، وواجه هوسرل وغيره من الفينومينولوجيين هذه التحديات، ولهذا رأى ضرورة إحداث تغيير

أساسي في الاتجاه الفلســفي، ورأى أن هذا التغيير يبدأ بعدم التسامح مع المطالب العلمية أو الخضوع لها.

لهذه الأسباب والمعطيات جميعًا كان اختياري لهذا الموضوع وهو (المنهج الفينومينولوجـي عند هوسرل) ، ومن هنا تـبرز بعض الإشكاليات والأسئلة التي حاولت الإجابة عنها من خلال هذا البحث، وهي :

ما الأسباب والمعطيات التي أدّت إلى ظهور المنهج الفينومينولوجي؟ وما القواعد والأسس التي يرتكز عليها هذا المنهج؟ وكيف كان تأثيره في الفلسفة المعاصرة؟. وما أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا المنهج؟

هذا وقد استعملت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، لأنه المنهج المناسب لهذا الموضوع.

خطـــــــة البحث :

وقد قسمتُ البحث إلى مجموعة من العناوين الأساسية والعناوين الفرعية ، وتناول كل عنوان من العناوين الرئيسية جانبا من الجوانب ، فقد تناول العنوان الأول (مفهوم الفينومينولوجيا) والمفهوم اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، وأما العنوان الثاني : فهـــو (قواعد المنهج الفينومينولوجي) ، وقد أوضحت أهم القواعد التي يرتكز عليها هذا المنهج وهي : المعطيات : حيث يذهب هذا المنهج إلى ضرورة الاتجاه مباشرة إلى الأشياء القائمة في الشعور والمعطيات دون التطرق الى ما وراء هذه الظواهر.

تعليق الحكم (الوضع بين قوسين) : أي إضعاف المسلمات إلى أقل حد ممكن ، وبهذا التعليق الذي يسميه هوسرل بالإرجاع الفينومينولوجي يتحـرر الفيلسوف من جميع الأحكام السابقة.

نظرية النية : لفهم نظرية الإقصاء الفينومينولوجي التراسندنتالي ، لابد من فهم نظرية النية التي تعد أساسا لهذا الإقصاء، فالإقصاء الترسندنتالي هو تطبيق المنهج الفينومينولوجي على الموضوع نفسه ، فميدان الفينومينولوجيا كما يرى هوسرل هو الوجود كله ، والوعي الخالص هو من بين مكونات الوجود ، وبإمكاننا إدراك الوعي الخالص عن طريق النية، ومن بين جميع التجارب يمكن أن نميز تلك التجارب المتعلقة بموضوع، أي : التجارب الغرضية ، ولتطبيق مبدأ الإقصاء الفينومينولوجي على هذه التجارب الغرضية ، فإننا نتوصل إلى إدراك الوعي باعتباره نقطة اتصال صرفة بالنية التي يُدفع إليها بالموضوع الغرضي ، وأما العنوان الثالث: فهو تأثير المنهج الفينومينولوجي في الفلسفة المعاصرة فقد سددت الفينومينولوجيا ضربة قاصمة للفلسفة الوضعية والإسمية اللتين كانتا تتحكمان في فلسفة القرن التاسع عشر. كما أسهم هذا

المنهج ، الذي شـدّد على محتوى الموضوع وأهميته ، في إنشاء فكر معادي للكانطية ، كما أنشأ مدرسة فلسـفية مهمة كان تحت لوائها العديد من الفلاسفة، ولم يقتصر تأثير هذا المنهج على هذه المدرسة وحدها ؛ بل تعدّاه إلى التأثير في الفلسفة المعاصرة بجملتها، أما العنوان الأخير: فهو الانتقادات التي وجهت إلى الفينومينولوجيا حيث قسمت هذه الانتقادات إلى نوعين ، انتقادات تقوم على أسس إيديولوجية وهي الانتقادات التي وجهها الفلاسفة الماركسيون للفلسفة الفينومينولوجية، هذه الانتقادات التي تقوم على خلفية الأسس الإيديولوجية للفلسفة الماركسية ، ولهذا فهي تنطلق من أفكار مسبقة دون مراعاة لأسس النقد الفلسفي ، وأما النوع الثاني من النقد فهو النقد الذي يقوم على أسس فلسفية دون مراعاة للإيديولوجيا أو الانطلاق من أفكار مسـبقة.

المطلب الأول ــ مفهـوم الفينومينولوجيا:

المفهوم اللغـوي والاصطلاحي للظاهرتية (الفينومينولوجيا) : يقصد بكلمة الظاهرة في اللغة العربية "ما ظهر من الشيء مقابل ما خفي منه، والظهرُ خلافُ البَطْنِ، مُذَكَرٌ ج ، أظْهُرٌ، كافَأَة. وخفيفُ الظُّهْرِ: قليلُ العِيال، وثَقِيلُه: كثيرُه. وهو على ظهرِ: مُزمعٌ للسَّفَرِ. والظُّهْرَةُ بالكسر: العَوْنُ . والظاهِرُ خِلافُ الباطنِ. وبالهاء أن تَرِدَ الإبلُ كلَّ يومِ نِصفَ النهارِ. والظُّواهِرُ: أشرافُ الأرضِ. وقُرَيشُ الظُّواهِرِ: النازلونَ بِظَهْرِ مكةَ. والبعيرُ الظَهْرِيٌ – بالكسر المشدد : اوظهُورٌ والظُّهْرُ. والرُّكابُ. وهم مظهِرونَ ، أي : لهم ظَهْرٌ ، وأعْطاهُ عن ظَهْرِ يد: ابْتداءَ بلا مُكافَأَة . وخفيفُ الظهرِ: قليلُ العِيال. وظَهَرَ بحاجتي، وظَهَّرَها، وأظْهَرَها، وأظْهَرَها: جَعَلَها بظهْرِ: أي وراء ظهر، واتخذها ظِهريًا. وظَهَرَ ظُهوراً: تبيَّن. وهو بين ظَهْرَيْهِم وظَهْرانَيهِم، ولا تكسر النون، وبين أظْهُرِهِم: أي وسطهم وفي معظمهم. والظُّهرُ: ساعة الزوال. والظهيرةُ: حد انتِصافِ النهارِ. والظهيرُ: المعينُ. وجاءنا في ظُهْرَتِه – وظاهِرَتِه ، أي : عَشيرته ، واسْتَظْهَرَ به : اسْتَعان. وقرأهُ عن ظهرِ القلبِ، أي : حفظًا بلا كتابٍ والظُّهارةُ – بالكسر نقيضُ البطانةِ. والظِّهارُ: قولُه لأمرأتِه: أنت عليٌ كظهرِ أمّي.(1).

والظاهرتية : اسم مؤنث منسوب إلى ظاهرة على غير قياس، والمنهج الظاهرتي: منهج يهتم بوصف الظواهر وتصنيفها، وهو عبارة عن الوصف العملي للظواهر الواقعية. "(2)

هذا مفهوم الظاهرتية (الفينومينولوجيا) من الناحية اللغوية ، أما مفهومها الاصطلاحي أو الفلسفي : فإنه "يطلق على كل ما هو (معطى) لنا في الخبرة مباشرة ، فالظاهريات ليس سوى تلك المعطيات التي تبدو للوعي على نحو مباشر، فتؤلف محتويات" (3) .

ومن أهم التعريفات وأعمقها تعريف لالاند ، فهو يرى أن" الظاهرة ما يظهر من الشعور ويتم إدراكه فيه. سواء من النظام الطبيعي أو النفسي، وفي بعض الأحيان يقال ظواهر بيلوجية حيث يكون المقصود من ذلك معنى أدق، أي مجموعة الظواهر التي يكون منها موضوعات هذا العلم أو غيره من العلوم المختلفة (4)

والفينومينولوجيا عبارة عن خليط مركب من أفكار عدد كبير من الفلاســـفة من أفلاطون وحتى هوسرل ، فقد أخذت عن أفلاطـــون فكرة الماهيات الثابتة ، كما استفادت من الكوجتو الديكارتي والمانادولوجيا عند ليبنتز، كما تأثرت ببعض آراء كانط في محاولة تأسيس العقل على مبادي يقينية ثابتة، وأخذت من برنتانو فكرة القصدية.(5) ، وبما أن الظاهريات تقوم على الرجوع إلى الأشياء نفسها ، أي : الرجـــوع إلى الوقائع المحضة دون التأثر بالأحكام السابقة المتعلقة بها ، فإنها تعارض المذهب العقلي والنزعة الرياضية ؛ لأنه يجـــرد عالم الحياة ويصيغه في صيغ عقلية، كما تعارض المذهب التجريبي، خصوصًا ذلك القائم على النزعة النفسانية، وذلك لأنه يخضع الوقائع إلى مقولات فقيرة وغير ملائمة، كما تعارض الظاهرتية المذاهب المثالية، لأنها لا تستند إلى رؤية الواقع ، وتعارض القطبية ذات الصبغة الأفلاطونية، لأنها تجعل من المعاني حقائق خارجية عما هو عيني.(6)

والفينومينولوجيا تقـــدّم نفسها على أنه منهـــج وليس مذهبًا متكونًا من مجموعة نظريات، وبناء على وجهة النظر هذه فإن الظاهرتية تمثل قطيعة مع المفهوم التقليدي للفلسفة، فهي تهدف إلى شرح البنى الضمنية للتجربة، حيث تقود التجربة الخرساء إلى التعبير الخالص عن نفسها، وأن تدع التجربة تجري، وأن تجعلها توضح بنفسها البنى الكلية لهذه التجربة، فهي لوحدها تكشـــف بالتدريج عن معناها، وعلى الفيلسوف أن يتخلى عن فحص أداة المعرفة قبل أن يقوم بفعل المعرفـــة (7)

وقد استخدم هوسرل اصطلاح الفينومينولوجيا في محاولته الجادّة في تأسيس علم كلي جديد قائم على مبادي يقينية عامة تكون الأساس لكل معرفة ممكنة، وقد استفاد في محاولته تلك من أفكار السابقين عليه والمعاصرين له(8)

ويهدف هوسرل إلى تحـديد كيف ينبغي أن تكون الفلسفة علمًا دقيقًا كالرياضيات ، وفي سبيل تحقيـــق هذا الهدف يريد أن يبدأ من المباشر؛ لكن المباشر ليس في نظره العلم المحسوس كما يذهب إلى ذلك التجريبيون والحسيون، لأن التجربة الحسية لا يمكن أن تستبعد إمكان الشك في وجـــود العالم المحسوس، وكل موضوع هو معطى لنا على أنه شعور واقعي أو ممكن للأنا المفكرة ، ولهذا فإن العالم المحيط بي ليس إلا ظاهرة وجود ، وليس عالمًا موجودًا بيقين، والأمر المباشر والحقيقي هو الماهيات،

أي :الأمور المعقولة بوصفها معطاة في الفكر، وهذه الماهيات هي أولًا ماهيات عامة : ماهية الإدراك ، ماهية الشعور، وماهية العدد، وماهية الحقيقة ، ثم القواعد التي تحدد علاقاتها ، مثل قواعد البرهان . وهي ثانيًا ماهيات الأمور المادية مثل : ماهية الصوت ، وماهية السكون ، والعلاقات بينها وبين غيرها من الأمور المادية مثل العلاقة بين الضوء والامتداد؛ لكن هــذه الماهيات ليست هي الموجودات ، بل تركيبات للدلالة والمعنى ، تتألف في الحقيقة المعقولة لمعطيات التجربة. (9)

ويبــدأ هوسرل في تعريفاته للفينومينولوجيا بتعريفات أوليـــة عامة ، ثم يورد تعريفات أخرى فرعية داخلية تعتبر توضيحًا لمضمون التعريفات الأولى، ويمكن القول إن أهــم تعريفاته تلك التي ترتبط في نفس الوقت بالهدف من تأسيسها، ومن أنها العلم الكلي للمعرفة البشرية ولكافة العلوم الممكنة من شتى المعارف والعلوم التي تستمد شرعية وجودها وباعتبارها الأولى لكل المعارف الممكنة للعلم الدقيق الذي كان معيارًا للعلوم الأخرى فالفينومينولوجيا هي إرساء قواعد معرفية مطلقة وتأسيس الفينومينولوجيا. (10)

ومن خلال ما سبق يمكن أن نصل في هذا المجال مجال تعريف الفينومينولوجيا أو الظاهرتية إلى النقاط التالية :

ـ الفينومينولوجيا تسعى لأن تكون العلم الدقيق للمعرفة البشرية.

ـ الفينومينولوجيا كذلك تحدد نقطة البداية لهذا العلم الكلي الذي يدور في مجال محايد (الشعور).

ـ تكتفـــي الفينومينولوجيا بدراسة الشعور من الناحية الوصفية فقط، دون أي محاولة للتفسير.

ـ هدف الفينومينولوجيا هو إدراك الماهيات الكامنة في الشـــعور، وذلك عن طريق الحدس.

المطلب الثاني ـ قــواعــد المنـــهج الفينومينولوجـــي :

حاول هوسرل أن يأخذ على عاتقه وضع أساس منهجي راسخ يصلح لكل العلوم، الفلسفية منها على وجه الخصوص. وهو يعتبر الرؤيا المصدر الأساسي لكل الإثباتات العقلية، أو ما يسميه الشعور الأصيل الذي وهب للإنسان. وهو يرى أن الإنسان عليه أن يتجه إلى الأشياء في ذاتها، وهو ما يعنيه بكلمة المعطيات، وهذه الكلمة هي القاعدة الأولى والأساسية في قواعد المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل(11)

أولًا ــ المعطيات : وهذه المعطيات هي ما نراه قائما في شعورنا ، وهذا المعطى أو المعطيات بتمثله أمام الوعي يسمى ظاهرة ، وهذا لا يعني أن هناك شيئاً مجهولاً يكون

موجوداً وراء الظاهرة . فالفينومينولوجيا ما يهمها هي المعطيات فقط، دون أن تكلف نفسها البحث في هذه المعطيات ، هل هي شيء واقعي أم مجرد مظهر، ولا يهمها أي شيء آخر. فالمهم أن يكون الشيء حاضراً أي أنه معطى (12) ، ويذهب المنهج الفينومينولوجي إلى ضرورة الاتجاه مباشرة إلى الأشياء القائمة في الشعور والمعطيات دون التطرق إلى ما وراء هذه الظواهر، ودون النظر إلى هذا المنهج استقرائيًا أو تجريبيً،ا لأن مهمته فقط إماطة اللثام على ما هو معطى وإيضاحه، فهذا المنهج لا يفسر الأشياء بحسب قوانين، ولا يأتي بعملية استنتاج قائمة على مبادي معينة، ولا يضع في اعتباره مباشرة ما يقع في حوزة الوعي، وهو الموضوع، إنه إذن منهج يتجه إلى هدفه كليًا ، وما يهمه مباشرة ليست هذه الفكرة الذاتية ، ولا النشاط الذي يزاوله الموضوع مهما تبدو إمكانية أن يصبح هذا النشاط نفسه مادة للفحص من قبل هذا المنهج، فالذي يهمه هو كل ما يمكن أن يعرف، وكل ما يمكن أن يشك فيه، وكل ما يمكن أن يُحب أو يكـــره (13)، ويأخذ هوسرل على المدارس التي سبقته مثل الكانطية والتجريبية عدم إخلاصها للأشياء، لأن الوقائع التجريبية، من وجهة نظره هي وقائع مؤلفة وليست معاشة إنها مفترضة في أصل المعطى، ولهذا يقترح هوسرل العودة إلى أصل الأشياء، وهكذا تبدو الظاهرتية كمنهج وصفي للأشياء ذاتها، أي العالم كما يبدو للنظرة الساذجة بغض النظر عن أي توليف تصوري، فالأمر إذًا يتعلق بعلم الماهيات أو الجواهر، وهو ما يراه علمًا حدسيًا، سابقًا بالقوة عن كل علم استقرائي، ولا يفترض هذا المنهج أي وجهة ميتافيزيقية مثالية أو واقعية مادية، فهو منهج محايد، كما أن مصطلح ظاهرة لا يفترض أي اشارة للأشياء، في ذاتها، ولكنه يشير فقط إلى موضوعية المعطى كما هي، وهنا يختلف عن الكانطية التي ترى وجود الشيء في ذاته.

هذا التفسير للمعطى المباشر، ليس إلا مرحلة أولى، فهو يتطلب إيضاحات ظاهراتية للذات التي تمنح المعنى للمعطى المباشر، فالذات ليست كائنًا من كائنات العالم لكنها مع ذلك هي ما يجعل هذا العالم يبدو كعالم، فهي وعي قصدي وكل وعي قصدي هو وعي بشيء ما، ويقصد موضوعًا ما، فالوعي لا يكون وعيًا بذاته أو موضوعًا بذاته إلا في مرحلة ثالثة عن الوعي المباشر، إنها مرحلة التأمل، والوعي لا يحتوي الموضوع وليس له باطن، إنما عبارة عن نور أو إشعاع يضيئ الأشياء ويجعلها تظهر بمعانيها الخاصة، فالعالم بالنسبة للوعي وبواسطة الوعي ليس له معنى (14)

ثانيًا الوضع بين قوسين: (تعليق الحكم) : ويسميه هوسرل - أيضاً - الإرجاع الفينومينولوجي ، أي : إضعاف المسلمات إلى أقل حد ممكن ، وبهذا الارجاع يتحرر الفيلسوف من جميع الأحكام السابقة ، والملاحظ أن تعليق الحكم لا يقصد به اتخاذ

موقف سلبي شكي كما هو الحال عند الشكاك اللأدريين ، وليس أداة للرفض كما هو الحال عند ديكارت؛ وإنما وضعها بين قوسين ، والوضـــع بين قوسين يعني : التوقف عن إصدار الحكم ، ويعني : ـ أيضاً ـ أن يظل باقياً ولا يختفي بحيث يمكن استغلاله دون الارتباط به ، والملاحظ أن هذا التوقّف عن إصدار الحكم لا يعني موضوعات دون غيرها ، وإنما ينطبـــق على الموضوعات جميعاً سواء كان ذلك بصدد وجودها أم بصدد خصائصها(15)

هذا الوضع بين أقواس له أوجه متعددة : الوجه الأول أن تطرح جانباً كل ما هنالك من نظريات وآراء صادرة عن الحياة اليومية، أو عن العلم، أو عن ميدان العقيدة الدينية. وينبغي ألا يتكلم إلا الشيء المعطى. ويقوم ثانيا في (الوضع الوجودي بين أقواس) أي الامتناع عن الأحكام الوجودية حتى تلك التي تتجلى فيها البينة المطلقة مثل وجود الأنا. وبينما العنصر الأول يؤدي إلى التخلص من كل الأحكام السابقة، فإن العنصر الثاني يقوم على أساس أن المعرفة الفلسفية يجب أن تكون معرفة الماهيات، ولا يعنيها الوجود الواقعي للموضوعات المتأمل فيها (16)

لكن هذين العنصرين لا يكفيان لرؤية الماهية، لأن الجزئيات لا تزال تتجلى جزئيات، لهذا يجب أن نظيف عنصرين آخرين للوضع بين أقواس، هذين العنصرين يتوقف عليهما فعالية المنهج الفينومينولوجي حسب ما يـرى هوسرل.

إن التمييز بين الواقعة وبين الماهية يناظره الـرد المهوي الذي يتم به تحويل ما هو واقعي إلى ماهية، مثال ذلك: أفراد بني الإنسان كما هم في الزمان والمكان يصير إلى ماهية الإنسان. ويتقاطع مع هذا التمييز تمييزاً آخر بين الواقعي وغير الواقعي. ويناظره الرد المتعالي، وهو الذي تصير به المعطيات في الشعور الساذج إلى ظواهر متعالية في الشعور المحض. وبهذا نجد أن هوسرل يبتعد عن أستاذه (برنتانو) ويقترب من مذهب كانط والمثالية المتعالية، ذلك أن الوضع الظاهرياتي لا يبقي إلا على الشعور المحض، وهو مطلق بحيث أنه لا يحتاج في قوامه إلى أي شيء واقعي.

لكن هذه النظرة المثالية المتعالية التي وصل إليها هوسرل أدت إلى وجود جانب سلبي، وهو استقلال وجود الأنا المتعالية. أما الجانب الإيجابي فهو يتمثل في القول بأن كل موجود هونسبي بالنسبة للشعور المحض وحتى لو كان غير واقعي فإنه في نفس الوقت ضروري من حيث المبدأ، ولهذا فإن هذا القول يمثل علوًا من نوع خاص في بطون تيار التجار الحية. ولا يتطلب ذلك خروج الفيلسوف من (أناه) لأجل اكتشاف التراكيب الكلية المنتسبة لكل(أنا) بل إن (الأنا) يتأمل في ذاته من أجل أن يكتشف التنوعات التي تكشف له عن صورة الأنا. فالذات هي الواهبة الأخيرة للمعاني، بل هي

أصل المعطى والعين التي تبصر كل ماهية، وليست شبيهة بشاهد أجنبي عليه أن يلحظ مقياس هذا المعطى المعتم. **"(17)**

ويلخص هوسرل موقفه في هذا المجال بالقول: " إنني أنا يتأمل على طريقة ديكارت. وأسترشد بفكرة فلسفة مفهومة على أنها علم كلي، مؤسسة على نحو دقيق محكم جدًا أقررت بإمكانه، من باب المحاولة والتجريب. وبعد أن قمت بالتأملات السابقة، تبين لي أني أنمي ظاهرات أيدوسية، وهذا هو الشكل الوحيد الذي عليه يتحقق، أو يمكن أن يتحقق، علم فلسفي، الفلسفة الأولى". ويوضح هوسرل أنه على الرغم من أن اهتمامه يتعلق هنا بالرد المتعالي، وبأناي المحض وتوضيح هذا الأنا التجريبي، فإنه "ليس في وسعي تحليله على نحو علمي معًا إلا بالرجوع إلى المبادي الضرورية اليقينية التي تنسب إلى الأنا بوصفه أنا بوجه عام. ولابد لي من الرجوع إلى الكليات وإلى الضروريات الجوهرية التي بفضلها يمكن إرجاع الواقعة إلى أسس عقلية لإمكانها المحض، وهو ما يمنحها المعقولية والطابع العلمي. وهكذا فإن علم الإمكانيات المحضة يسبق في ذاته علم الوقائع ويجعلها ممكنة من حيث هي علم"(18)

ثالثًا ـ نظريـــة النية عند هوســـرل: يلاحظ أن نتيجة الإقصاء الترسندنتالي التي قال بها هوسرل ، هي أنه لا يبقى من الموضوع إلا ما يتضمنه المحمول. ولكي نفهم نظرية الإقصاء الترسندنتالي، لابد من فهم نظرية النية التي تعتبر أساسًا لها.

يمثل الإقصاء الترسندنتالي عملية تطبيق المنهج الفينومينولوجي على الموضوع نفسه . فميدان الفينومينولوجيا كما يرى هوسرل هو الوجود كله، والوعي الخالص هو من بين مكونات الوجود. ومن الممكن أن ندرك الوعي الخالص عن طريق فكرة النية، وهذا التصور الذهني المهم أخذه هوسرل عن أستاذه برنتانو. ويمكن أن نميز تلك التجارب المتعلقة بموضوع من بين جميع التجارب، وهذا النوع من التجارب تسمى التجارب الغرضية فهي من حيث أنها وعي تربطها علاقة غرضية مع ذلك الشيء، كحب شيء ما مثلًا.

وعندما نطبق مبدأ الإقصاء الفينومينولوجي على هذه التجارب الغرضية فإننا نصل إلى أمرين: الأول - إدراك الوعي باعتباره نقطة اتصال صرفة بالنية التي يدفع إليها بالموضوع، وثانياً - فإننا نتوصل إلى موضوع، وهذا الموضوع لا يصبح له من وجود آخر بعد عملية الإقصاء، إلا ذلك الوجود الذي يمكنه من أن يصبح متعلقًا بمحموله بشكل غرضي. أما ما يتعلق بالتجربة في حد ذاتها، فالفعل المحض غير موجود وإن بدا عكس ذلك – بل يعد مجرد العلاقة الغرضية بين الوعي الخالص وبين الموضوع الغرضي.

وهكذا فإن الحقيقة كلها تبدو كتيار تجارب نُظر إليها على أنها أفعال محضة. **" (19)**

وهذا التيار في حد ذاته ليس له صبغة نفسية، فهو مجرد هياكل مثالية محضة، ولذلك فالوعي المحض والذي يطلق عليه اسم الكوجتو ليس محمولًا حقيقيًا، وأفعاله غرضية، أما الموضوع فهو ليس إلا معطى خاص لهذا المحمول المنطقي.

يقابل هوسرل بين المادة المحسوسة والهيئة المنشودة في تمييز آخر للتجارب. ففي حالة رؤيتنا لشجرة مثلًا، فإنه إلى جنب الإحساس بإدراك هذه الشجرة نتميز أيضًا الإحساس بالإدراك في حد ذاته. وبالمثل في عملية إصدار الحكم، فإننا نتميز عبارة إصدار الحكم أي ماهية هذه العبارة، ونتميز كذلك إصدار الحكم.

خلاصة القول في ما تقدم أن المحمول في التجربة الغرضية يبدو وكأنه قد ارتبط أساساً بالموضوع، وأن الموضوع يبدو وكأنه قد أعطى أساسًا للمحمول، وبذلك فإن الطبيعة الاستقطابية للتجربة الغرضية قد استكملت. ولو افترضنا أن العالم الواقعي يقوم بدون موضوع حقيقي، فإن وجود هذا العالم لن يكون شرطًا في وجود الوعي المحض، ومن جانب آخر فإن علم الأشياء الترنسندنتالية يتوقف كليًا على الوعي في حالة حركة. فالحقيقة في أصلها ليست شيئًا مستقلًا، بل مجرد ظاهرة، وهذه الظاهرة في أصلها ليست سوى نية ووعي.

وهكذا شيد هوسرل مثالية ترنسدنتالية شبيهة بالكانطية الجديدة، ولكنها لا تصل إلى حد القول برد الموضوع إلى قوانين صورية كما فعلت الكانطية الجديدة، كما يقر هوسرل كذلك بوجود محمولات عديدة ذات وجود ظاهري. **" (20)**

تأثير المنهج الفينومينولوجي في الفلسفة المعاصرة:

فلسفة الظاهريات أو الفينومينولوجيا التي أسسها هوسرل صارت تطلق على تيار فلسفي عريض في الفلسفة المعاصرة. وقد انقذ هذا التيار الفلسفي الفلسفة من أزمتها التي حاقت بها في القرن التاسع عشر. وقد أصبح هوسرل يمارس تأثيرًا كبيرًا في اتجاهات مختلفة. فقد أسهم منهجه ، الذي يشدد على محتوى الموضوع وماهيته، بقوة من ناحية في إنشاء فكر معادي للكانطية. ومن ناحية أخرى فإن تحليلاته العميقة من خلال كتابه (مباحث منطقية) سددت ضربة قاصمة للفلسفة الوضعية والإسمية اللتين كانتا تتحكمان بفلسفة القرن التاسع عشر.

إن منهج هوسرل لا يعني إلا بإنارة المعطى بدون التساؤل عما إذا كان واقعًا أو ظاهرًا – وقد طبقه الفلاسفة على نطاق واسع. ولذلك من المحتمل أن تكون أعمال هوسرل مصدرًا لفلسفة المستقبل. **"(21)**

لقد أسس هوسرل مدرسة فلسفية هامة، انخرط تحت راياتها العديد من الفلاسفة، ولكن تأثير هوسرل لم يقتصر على هذه المدرسة وحدها بل تعداها إلى التأثير في الفلسفة المعاصرة بجملتها.

وأعمال هوسرل الفلسفة الغنية تحتوي ضروبًا من التحليلات العميقة، هذه التحليلات نعتقد أنه لم توضع بعد اليد على ما تتضمنه من قيمة فكرية كبيرة. **" (22)** ومن أهم المدارس الفلسفية التي تأثرت بمنهج هوسرل وفلسفته المدرسة الوجودية، فقد أدى هوسرل خدمة جليلة للفلسفة الوجودية بوضعه لمنهجه الفينومينولوجي الذي تبناه كل من هيدجر ومارسيل وسارتر بالرغم من أن هؤلاء لايقرون هوسرل فيما ذهب إليه من فروض ولم يتبعوه في الموقف الفكري الذي اتخذه. وقد كان تأثيره على الفلسفة الوجودية كبيرًا حتى إن بعض الباحثين في فكر هوسرل يعدونه من الفلاسفة الوجوديين **(23)"** .

وفي الحقيقة أنه لا يمكننا أن نعد هوسرل فيلسوفًا وجوديًا وهو الذي عزل الوجود جانبا ووضعه بين قوسين كما وضّحنا في الصفحات السابقة.

وقد أخذ الفلاسفة الوجوديون المنهج الفينومينولوجي من أجل وصف خبرات هؤلاء الفلاسفة من أمثال جبرائيل مارسل وسارتر وومارلوبونتي وكأنما أرادوا أن يتخطوا شتى التأويلات والتفسيرات من أجل الاتجاه نحو عالم الحياة المعيشة الذي هو أسبق من كل تصور أو تعليل **"(24)**

ومن أهم من تأثر بهوسرل الفيلسوف الألماني ماكس شيلر حتى أصبح أول الفينومينولوجيين بعد هوسرل، إذ واصل الأخذ بنظريته في المعرفة محورًا فيها وموجها لها في إطار جديد، وقد سمى شيلر هذه النظرية المعرفية التي أخذها عن هوسرل وطورها باسم نظرية (السبقية العاطفية)، وفي الحقيقة أن حياتنا الروحية كلها ذات محتوى سبقي، بما في ذلك الناحية العاطفية للنفس التي تحب وتكره وتحس. إذ إن هناك نطاقاً سبقياً للقلب، ومنطقاً له، بكل ما يحمل ذلك من معنى. **"(25)**

أما سارتر فقد صاغ الخطوط العريضة لمذهبه الوجودي على أساس من المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، وقد أفرط سارتر في تطبيق هذا المنهج (26) كما أخذ عن هوسرل ما يعرف بخاصية القصد التي تعني الأحوال الشعورية المختلفة. **"**(27)

ومن الغريب أنه دخل في دائرة الممكنات وما ذلك إلا للتمسك بالتحديد والثنائية، فهو يرى أن الشعور غير ممكن قبل أن يوجد وإنما وجوده هو ينبوع امكانه وشرطه، فوجوده هو الذي يتضمن ماهيته مستشهداً في ذلك بمقالة هوسرل من ضرورة الواقع فلكي يكون ثمة ماهية اللذة مثلًا فإنه أولًا يجب أن يكون ثمة شعور بهذه اللذة، ويقوم تحديد الشعور

بواسطة ذاته، وينبغي ألا يُدرك على أنه تكوين وضرورة، بل نفترض أن الشعور سابق على وجود ذاته **(28)**

وقد مهدت الفلسفة الفينومينولوجية الطريق أمام الاعتراف بموقفين فلسفيين، هما:

- موقف موضوعية المعرفة، أي التمييز بين فعل المعرفة وبين موضوعها.
- الاعتراف بالصيغة الحقة للذات الإنسانية.

كما خطا أصحاب المنهج الفينومينولوجي خطوة أخرى مهمة وذلك بإقرارهم بوجود مظاهر أخرى للعقل، وهي المظاهر التي أسموها المظاهر العاطفية. وهم بجعلهم من الموضوع أساسًا للفلسفة قد تمكنوا من إيجاد صيغة للعقل الإنساني أكثر حيوية وأكثر واقعية. وهكذا فقد أصبحت فلسفة كانط،، ومعها الفروض الأساسية للفلسفة الحديثة من الفلسفات التي من الضروري على الفكر المعاصر أن يتجاوزها. ومن هذه الناحية تعد الفينومينولوجيا إحدى قوى التحرر الكبرى في الفكر المعاصر. **"(29)** ، وقد أسدت كتابات كل من برنتانو وهوسرل خدمات جليلة للفلسفة الواقعية، حيث أدت هذه الكتابات إلى تجديد الواقعية رغم أن هوسرل لم يتطرق إلى دراسة الواقعية، بل إنه لم يتناول حتى فلسفة الكينونة، غير أنه يرجع الفضل إليه في أنه حول الاهتمام من معالجة مشكلات نظرية المعرفة العميقة إلى الواقعية الجديدة إلى تحليل الظواهر، فأدى بذلك خدمات كبيرة للواقعية الجديدة وللميتافيزيقا. **"(30)**

أهم الانتقادات الموجهة إلى الفينومينولوجيا:

يتبلور نقد الفينومينولوجيا في اتجاهين رئيسيين:

الأول - وهو الاتجاه العقائدي الذي يمثله الفلاسفة الماركسيون. أما الاتجاه الثاني - فهو نقد فلسفي موضوعي لا علاقة له بالايديولوجيا، ويمثل هذا الاتجاه مجموعة كبيرة من المفكرين الذين لا ينتمون لنزعات عقائدية.

ينطلق الاتجاه الأول، وهو النقد الايديولوجي الماركسي من مبدأ أولي ثابت عند الماركسيين وهو أن كل مذهب فلسفي لا يبدأ من المصادرات الأساسية للفلسفة الماركسية فإنه حينئذ يصبح مذهبًا مضادًا حتى ولو اتخذ موقفًا حياديًا، وبذلك يستحق النقد.

ويظهر ذلك عند مجموعة من المفكرين الماركسيين الذين تعرضوا للفلسفة الفينومينولوجية بالنقد، وهم يرون أن غالبية المذاهب الفلسفية التي نشأت في الغرب منذ العصر اليوناني وحتى اليوم – باستثناء عدد قليل منها – ذات طابع مثالي غيبي، وتجنح بالإنسان عن واقعه المادي إلى تخرصات خيالية تيسر للآخرين إخضاعه والسيطرة عليه واستغلاله. ولذلك تعتبر الفلسفة الغربية عمومًا من وجهة نظر الماركسية فلسفة

مثالية ذات طابع برجوازي خفي حتى ولو كانت تدور في نطاق الواقع. وهي تمثل فلسفة الاستعمار والإنفريالية العالمية، ذلك لأنها تنقل الناس إلى عالم الأحلام، بينما المستعمرون يستغلون واقعهم المادي لتحقيق مصالحهم الخاصة تحت ستار الفكر المثالي. **"(31)**

ومن هذا المنطلق فإن الماركسيين يرون أن فلسفة الظواهر ماهي إلا مجرد تعبير عن الأزمة التي حلت بالفكر الأوربي مطلع القرن العشرين، ولم تكن تلك السمات التي اتسمت بها هذه الفلسفة مثل اللاتاريخية، والحدسية، والظاهرية، إلا عوامل ايديولوجية أريد بها حجب المعنى الحقيقي للأزمة، بدل استخراج النتائج الضرورية المترتبة على هذه الأزمة، ومن هذا المنطلق فإن الطريق الثالث الذي أراد هوسرل أن ينتهجه، بدلًا من الأخذ بالمثالية أو المادية، إنما هو انعكاس لهذا الموقف المائع المليء بالالتباس والغموض. وهكذا كانت فلسفة الظواهر تعبيرًا ملائمًا عن وضع الإنسان الأوربي في مرحلة الأزمة كما يرى الماركسيون، وبالتالي كانت موضع تقدير وترحيب من جانب المثقفين الأوربيين الذين وجدوا فيها حلًا لمشكلاتهم، فأظفوا عليها معنى وحقيقة.

وهكذا أدت فلسفة الظواهر وظيفتها الايديولوجية دون أن يفطن أحد بأنها مجرد صورة من صور المثالية الذاتية. **"(32)**، كما ينتقد الفلاسفة والمفكرون الماركسيون الفلسفة الفينومينولوجية عند هوسرل باعتبارها فلسفة مثالية غيبية خاصة بعد أن التحمت بالفلسفة الوجودية. ومن أمثلة هذه الانتقادات ما كتبه جورج لوكاش بعنوان (ماركسية أم وجودية) حيث هاجم الحدس الفينومينولوجي كوسيلة إدراك خادعة ومنتشرة في الفلسفة البرجوازية بالذات، وانتقد الطريق الثالث الحيادي الذي فرضه الواقع القاسي للمرحلة الامبريالية على مفكريها. وكذلك كتاب روجيه جارودي قبل تحوله للإسلام (الوجودية فلسفة الاستعمار) وقد هاجم فيه ميثولوجيا هوسرل كما طبقها مارلوبنتي. وغير هؤلاء كثير ممن ساروا على نفس النهج من الماركسيين في هذا النقد القائم على أحكام مسبقة. **"**(33) ، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الجوانب المحقة في نقد الماركسيين لفلسفة الظواهر عند هوسرل، هذه الجوانب التي ترتكز على براهين منطقية سليمة، وأدلة عقلية صحيحة. (34)

ومن هذه الانتقادات التي وجهتها الماركسية لفلسفة الظواهر وكانت مدعمة بالحجج والبراهين :

الطابع النظري الصرف لفلسفة الظواهر:

ففلسفة الظواهر أو الفلسفة الفينومينولوجية بقيت موصوفة بطابع الفيلسوف الفردي المنعزل. فالفلسفة حسب تصور هوسرل جهد منتزع من الحياة الاجتماعية، مجتث من

التاريخ. فهوسرل يؤكد في أكثر من مكان أن الفلسفة هي الحركة التاريخية التي يتجلى عبرها العقل الكلي الكامن في النظرة الإنسانية، من حيث هي حقيقة واقعية. وهذا هو السبب الذي جعل هوسرل لا يبدأ بحثه بدراسة العالم الواقعي، بل هو يتساءل فقط عن غرض الإنسانية من وراء الجهد الفلسفي، ولذلك فقد ضرب هوسرل صفحًا عن موقف الفيلسوف باعتباره إنسانًا يعيش في مجتمع معين، ويعاصر لحظة معينة من لحظات التاريخ. وانطلق يشيد فلسفة في أبراج من العزلة مستسلما لمجموعة من المظاهر الايديولوجية مثل المثالية والذاتية والكوجيتو. ولعل هذا هو السبب الذي جعله عاجزًا عن الخروج من دائرة الذاتية الفردية، حتى عندما استشعر التبادل الشعوري في صميم بناء الوعي الإنساني. **"(35)**

ثانياً فشل هوسرل في فهم كل من المجتمع والتاريخ:

ذلك أن هوسرل لا ينظر إلى المجتمع والتاريخ على أنهما واقعتان أصليتان، ولكنه يخلط بين المجتمع وظاهره (الاتصال بالآخرين) كما يخلط بين التاريخ وظاهره (الزمانية). فهوسرل لم ير في الظاهرة الاجتماعية ظاهرة نوعية مميزة. ولكنه رأى في الجماعة مجرد كثرة من الأفراد، ولم يستطع هوسرل تفسير ظاهرة الاتصال بين الذوات، ولهذا وجد نفسه مضطرًا للاستعانة بفكرة التقمص الوجداني، من تفسير وصول الفرد إلى خبرة الآخرين.

وهكذا كانت مثاليته سببًا في عدم قدرته على حل مرضي لمشكلة وجود الآخرين. وكما أن مشكلة المجتمع في نظر هوسرل هي مشكلة وجود الآخرين، فإن مشكلة التاريخ عنده هي مشكلة الزمانية. ونظرًا لعجزه عن فهم الطابع النوعي الخاص والمميز للظاهرة الاجتماعية، فقد وجد نفسه مضطرًا إلى اغفال التاريخ الواقعي للناس حسب ما يرى الماركسيون. وهكذا وحد هوسرل بين التاريخ والزمان دون أن ينسب إلى التاريخ أي بناء نوعي خاص، مادام الموجود هو مجموعة من الذوات تختار وجودها اختيار لا زمانيًا. وبناء على ذلك أصبح المستقبل عند هوسرل غير محدد، فهو مجرد حقيقة غامضة لا يمكن التنبؤ بها. ومادام هوسرل قد أنكر كل زمان موضوعي فقد أصبح بالإمكان عنده استعادة نقطة البداية. **"(36)**

وإذا كان الماركسيون يرون أن فلسفة هوسرل فلسفة خارج إطار الزمان والتاريخ، فما ذلك إلا انهم قد رأوا أن هذه الفلسفة لا تستطيع أن تفهم العلاقات الإنسانية على حقيقتها، أي بوصفها علاقات إنسانية ديالكتيكة تنجم عن عصور مختلفة من حيث التقنية والإنتاج. وهكذا بقيت فلسفة الظواهر عاجزة عن فهم كل عنصر اجتماعي وكل عنصر تاريخي حسب رأي الماركسيين.

ولكن أليس وعي هوسرل هذا الذي يدعونا إليه مجرد سراب لا أساس له كما يرى الماركسيون؟ بل أليس من المستغرب أن يدعونا إلى عالم سابق عن العلم، عن طريق الارتداد إلى الوعي الفردي، لا عن طريق الاتصال بالواقع الاجتماعي والتاريخي؟ فهوسرل يقرر أن المصدر الأخير للمعرفة هو الأنا، متغافلًا عن قيمة العمل الجماعي وما يركبه من موضوعات، وما يكون في عالم التاريخ. وإذا كان هوسرل يرى أن الموضوع حقيقة تستمد معناها من القصد وهو محق في ذلك، إلا أن هناك حقيقة أخرى قد تناساها، وهي لا تقل اهمية عن الأولى، ذلك أن كل موضوع مُشبع بالمعاني والدلالات التي خلفتها الحياة الاجتماعية والتاريخية. فمعنى الأشياء لا يقتصر على الدلالة الذاتية الفردية وحدها، بل يتعداها إلى المقاصد البشرية العامة التي سجلتها فيه ذوات الآخرين. ومعنى هذا أن دلالات الأشياء كامنة فيها بوجه من الوجوه بسبب أفعال أولئك البشر الذين عاشوا قبلنا.

ونحن لا نسلم مع هوسرل بأن العالم في حاجة إلى تكوين جديد في كل لحظة بما فيه من موضوعات وحقائق وقيم، ولكننا مع ذلك لا ننكر الحرية الإبداعية لدى البشر لتغيير العالم، ولأننا نرى أن الفرد لا يظهر وحيدًا في عالم مقفر، وكأن البشرية تواجه عالمًا جديدًا في كل لحظة تظهر فيه إلى الوجود ذاتًا جديدة، وهذا ما جعل الماركسيين لا يفصلون الوجود على المعنى، لأنهم يعرفون أن الذاتية البشرية قد أودعت منذ الاف السنين دلالاتها في صميم الأشياء. **"(37)**

أما الاتجاه الثاني في نقد فلسفة الظواهر الفينومينولوجيا والمذاهب الفلسفية بصفة عامة، فإنه ينطلق من المنظور الفلسفي الخالص، دون مراعاة أو نظر للاعتبارات العقائدية، أو اتخاذ مواقف مسبقة. لذلك فإن تقييماته تكون أقرب إلى الموضوعية. وهذا ما جعل بعض المفكرين والفلاسفة يرون أن رفض الفينومينولوجيا الشديد لجميع أشكال المذهب الاسمي النظري والمذهب الاسمي الخاص بالقيم، قد فتح الباب واسعا أمام عدد كبير من المشكلات، سواء كانت هذه المشكلات مشكلات فلسفية جديدة أو قديمة. كما أن صيغة التخصص الضيق وصعوبة النظريات التي جاءت بها الفينومينولوجيا، لم يسمح لها بمنافسة بعض الفلسفات مثل فلسفة برجسون وجيمس وديلثي، من حيث سهولة هذه الفلسفات وانتشارها بين العامة. وإن كانت الفينومينولوجيا قد تجاوزت هذه الفلسفات من حيث الانتشار بين الفلاسفة، سواء من حيث محتواها أو ردود الأفعال عليها.

كما أن الفلسفة الفينومينولوجية ليست فلسفة كينونة بل فلسفة ماهية، ولهذا ليس لها القدرة على فهم الكائن الحي، ولذلك فإن الفلسفة الفينومينولوجية تظل إلى حد كبير حلقة وصل بين فلسفة القرن التاسع، عشر وفلسفة العصر الحاضر.

فالفينومينولوجيون لم يتمكنوا من قطع خطوات كافية نحو الالتقاء بالمحسوس، أي الكائن الواقعي والتعامل معه ، فحتى شيلر لم يستطع أن يصل إلى ميتافيزيقا حقيقية: فالإنسان (الشخص) الذي قال به بقى مجرد مركز لأفعال غرضية، وظلت حقيقته مجزأة بين موجود في ذاته وبين ظاهره. **"(38)**

وفي الوقت الذي اعتبر فيه هوسرل نفسه وريث العقلانية الغربية (عقلانية اليونان وديكارت ولوك) وهو محق في ذلك. فإنه أخطأ بالمقابل عندما اعتبر هذه العقلانية العقبة المنطقية الوحيدة أمام تاريخ الفلسفة.

وهذا التصور الذي أطلقه على الفلسفة العقلية سيكون هو المحور الدرامي لسنواته الأخيرة من حياته. حيث اعتقد من ناحية أن لمنهجه صرامة العلم النهائي. ولكنه من ناحية أخرى تفجأ بطلابه يرفضون متابعة العمل الذي بدأ به. وذلك من حيث هم فلاسفة أصيليون. **"**(39)

كما أن الشروط التي وضعها هوسرل للقيام بالعمليات الظاهرتية أدت إلى أن تكون عمليات التجريد نوعًا من الممارسة الصوفية التي تحتاج إلى الشفافية الخاصة والصفاء الذهني. ويبدو أن هوسرل مثله مثل نظرائه من الصوفية قد سقط فريسة لوجده، وعجز عن الخروج من إرجائه الذي علق فيه الحكم اثناء عملية التحليل، وتحويل هذه العملية البريئة التي توضع فيها الحقائق بين قوسين وندركها بالذوق الفطري، إلى عملية ميتافيزيقية مفادها أن تلك الحقائق لا وجود لها إلا من حيث أنها تشير في الوعي ومن أجل الوعي. وسبب هذا الإخفاق هو أننا مهما فعلنا ومهما كان مدى صرامة وضعنا للوجود بين قوسين، فإننا دائماً في العالم وأفكارنا تتخذ مكانها في التيار الزماني الذي نسعى إلى الإمساك به. وما من فكرة تستطيع أن تضم فكرًا بأكمله. اللهم إلا فكرة العقل المطلق. ومن هنا نجد أن هوسرل يرى أن الفلسفة عبارة عن بدأ مستمر.

ويرى سارتر أن هوسرل لا يمكن أن يفلت من النزعة (الأنا واحدية)، لأنه إذا كان الوجود يرجع إلى سلسلة من الدلالات فإن ما يمكن أن أتصوره كرابط بين وجودي ووجود الغير هي المعرفة البشرية. وكذلك وجود العالم ليس شيئًا أكثر من المعرفة التي لدي عنه. إلا أن هناك من يرى أن عدم اكتمال الفلسفة الظاهرية هو دليل نجاحها وليس دليل فشلها، وهذا النجاح مرجعه صدقها مع نفسها. حيث يرى جولفييه أن الفينومينولوجيا باعتبارها كاشفة عن العالم تستند إلى نفسها، ولما كانت هذه الفلسفة لا تكتمل أبداً، ذلك أن السؤال الذي توجهه إلى نفسها ليس له نهاية فعلًا، فإن مسلكها الذي يوحي بأنها لا تعرف أين تسير، هذا المسلك ليس دليل فشل ، بقدر ما هو دليل نجاحها

– الذي هو الكشف باطراد – دون أمل في استنفاده عن السر المزدوج والمتضامن للعالم والعقل. (40)

وقد كان هوسرل يهدف إلى هذا الوجود المتضامن بين العالم والعقل بين الذات والموضوع، فهو الذي نظر إلى الشعور على أنه ذات وموضوع في آن معًا عندما تكلم عن القصدية، فالشعور ذات عارفة وموضوع للمعرفة معًا، وهذه الوحدة بين الذات والموضوع، أو بين المعرفة والوجود، أو بين الصورة والمادة، هي التي أدت لأن تكون الفينومينولوجيا أقرب إلى وحدة الوجود الصوفية في النهاية التي يتم فيها الوحدة بين الله والعالم، أي بين الحقيقة والواقع، ويراها البعض دعوة مثالية من نوع جديد، مثالية الشعور، أو تيارًا اشراقيًا من نوع تقليدي مثل سقراط و أوغسطين، خاصة بعـد اعترافات هوسـرل التي أسـر بها لتلاميـذه وهـو على فراش الموت، والتي تكشف عن نزعة صوفية خالصة ، وإيمان عميق بالله والكتب المقدسة.

والله عند هوسرل حالًا أو مباطنًا في الشعور بوصفه العنصر الخالد المطلق في الإنسان، فالمطلق هو الذي ينبثق في الشعور ويتكون من خلاله بعد أن ينشأ حيث يتم بناء فكرة الله خطوة خطوه في الزمان. وبالتالي فإن الله ليس مشكلة ولا يمكن إثباته بالبراهين، لأنه ليس واقعة خارجية، بل هو تيار حي في الشعور. وكثيرًا ما يوحي هـوسرل في كتبه بأن المنهج الفينومينولوجي هـو لرفع العالم المادّي من الموقف الطبيعي الذي سـاد العلوم الإنسانية إلى العالم الروحي ، فطريق هوسرل هو من الخارج إلى الداخل أولًا ثم من الداخل إلى الأعلى ثانيًا. إلا أن في أيامه الأخيرة نجد له عبارات تذكر بعبارات الصوفية.(41).

الخاتمـــــة:

من خلال دراسة الموضوع فقد توصلت إلى النتائج التالية:

ـ استخدم هوسرل اصطلاح الفينومينولوجيا بطريقة جديدة ومغايرة للذين سبقوه في محاولته الجادة تأسيس علم كلي جديد قائمًا على مبادي يقينية تكون الأساس لكل معرفة ممكنة وقد استفاد في محاولته تلك من أفكار السابقين عليه والمعاصرين له.

ـ تكتفي الفينومينولوجيا بدراسـة الشعور من الناحية الوصفية فقط، دون أي محاولة للتفسير.

ـ هدف الفينومينولوجيا هو إدراك الماهيات الكامنة في الشعور.

ـ يرتكز المنهج الفينومينولوجي على قواعد هي:

ـ المعطيات: وهي الاتجاه مباشرة إلى الأشياء القائمة في الشعور دون التطرق إلى ما وراء هذه الظواهر. والتوقف عن إصدار الحكم (الوضع بي قوسين). والنية

ـ سدد هذا المنهج ضربة قاصمة لفلسفة القرن التاسع عشر، وساهم في إنشاء الفلسفة المعاصرة، حيث لم يقتصر دوره على تأسيس الفلسفة الفينومينولوجية، بل كان له تأثير كبير في بقية مدارس الفلسفة المعاصرة وعلى رأسها المدرسة الوجودية

ـ إلا أن الفينومينولوجيا واجهة العديد من الانتقادات أهمها:

ـ إن رفض الفينومينولوجيا الشديد لجميع أشكال المذهب الإسمي النظري والمذهب الإســـمي الخاص بالقيـــم ، قد فتح الباب واسعا أمام العديد من المشـــكلات الفلســـفية الجديدة والقديمة.

ـ إن الفلسفة الفينومينولوجية ليست فلسفة كينونة وإنما هي فلسفة ماهية، ولهذا فإنها ليس لها القدرة على فهم الكائن الحي، ولهذا فإن هذه الفلسفة تظل إلى حد كبير عبارة عن حلقة وصل بين فلسفة القرن التاسع عشر وفلسفة العصر الحاضر.

الهوامـــــــــش :

1ـ الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس، مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1- 2، 1964- 1978م. ص399 – 400، والطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، مرتب على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة،ج3، الدار العربية للكتاب،ط3، 1980م. ص131- 132

2ـ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عالم الكتاب،ط1، 1429،هـ - 2008م ، ص: 1443

3ـ سماح رافع، الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسات نقدية، دار المنشورات الثقافية، بغداد، 1991م. ص50

4ـ رافع، 1991م، ص53 – 54

5ـ رافع، 1991م، ص58.

6ـ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، دار ذوي القربى للنشر، ط2، 1429هـ .، ص62".

7ـ رجب أبو دبوس، محاضرات في الفلسفة المعاصرة، دار الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته – ليبيا، 1996م. ص147

8ـ . رافع، 1991م، ص59".

9ـ محمد عزيز نظمي ، دراسات ومذاهب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1988م.ص494

10ـ رافع، 1991م، ص91 – 93".

11ـ بوخنسكي، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا، نقله إلى العربية محمد عبدالكريم الوافي، مؤسسة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1389هـ .ص215 – 216

12ـ بوخنسكي،1389هـ، ص216".

13ـ بوخنسكي، 1389هـ، ص216".

14ـ أبو دبوس، 1996م، ص149".

15ـ صفاء عبد السلام وحبيب الشاروني وعبد الوهاب جعفر، الفلسفة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002م.

، 2002م، ص68".

16ـ بدوي، 1429هـ، ص542".

17ـ بدوي، 1429هـ، ص542 – 543

18ـ بدوي، 1429هـ، ص543".

19ـ بوخنسكي، 1389هـ، ص219- 220".

20- بوخنسكي، 1389هـ، ص220 – 221
21- جورج طربيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006م.ص713 – 714
22- بوخنسكي، 1389هـــ ، ص212".
23- بوخنسكي، 1389هـ، ص242 – 245
24- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته – ليبيا، ط1، 1996.، ص25
25- بوخنسكي، 1389هـ، ص224 – 225".
26- بوخنسكي، 1389ه، ص264 – 265".
27- عبد السلام والشاروني وجعفر، 2002م، ص70".
28- محمد محمد الطاهر آل شير، نقد المذهب التجريبي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، بدون تاريخ.، ص161
29- بوخنسكي، 1389هـ، ص235 – 236
30- بوخنسكي، 1389هـ، ص54".
31- رافع محمد، 1991م، ص207 – 208".
32- زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ. ص 350".
33- رافع محمد، 1991م، ص207 – 208".
34- رافع محمد، 1991م، ص208
35- إبراهيم، بدون تاريخ، ص350
36- إبراهيم، بدون تاريخ، ص351".
37- إبراهيم، بدون تاريخ، ص351 – 352".
39- بوخنسكي، 1389هـ، ص235 – 236
40- طرابيشي، 1997م، ص713".
41- كامل، 1413هـ – 1993م، ص167 – 168"

وهو عنوان بحثي هذا. حيث قسمت البحث إلى مقدمة ومجموعة من العناوين وخاتمة، وهذه العناوين هي:

العنوان الأول - ويتناول مفهوم الفينومينولوجيا من الناحية اللغوية والفلسفية الاصطلاحية. أما العنوان الثاني - فيتناول قواعد المنهج الفينومينولوجي. أما العنوان الثالث - فيتناول تأثير الفينومينولوجيا في الفلسفة المعاصرة. أما العنوان الأخير - فيتناول أهم الانتقادات التي وجهت إلى الفلسفة الفينومينولوجية. وقد ختمت هذا البحث بخاتمة تحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث. وأخيراً أورت قائمة بالمصادر والمراجع التي استعملتها في هذا البحث.